

النظامة الإلكترونية تحصي جذور مفردات اللف في العربية

الدكتور إبراهيم سليم أنيس
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

وسطر في المصاحف ، وبذلك تحقق قوله سبحانه
« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ولما ظهر لعلمائنا المتأخرين اختلاف عدد
الحروف في تلك الروايات حاولوا تفسير ذلك أو تعليله
فيقول صاحب البصائر : « وأما الحروف فان بعض
القراء عد الحرف المشدد حرفين فيكون على هذا
القرآن عنده اكثر » !! غير ان مثل هذا التعليل في
رأيي ، لا يكفي في تسوية التعدد في الروايات واختلاف
الارقام مع كل منها ، اذ يذكر الفيروزآبادي في كتابه
البصائر ثمانية ارقام مختلفة لمجمل عدد الحروف في
القرآن مؤكدا ذكرها وضبطها بالكتابة أي لا يكتفي
بالرقم الحسابي .

وتلك هي الروايات التي جاءت في كتاب البصائر
مع الاكتفاء هنا بذكر السند في الرواية ، الاولى وحدها
رغبة في الإيجاز :

(1) وأخبرنا الحسن ، أنا أبو الحسن ، أنا ابن
مسلم ، أنا وكيع ، أنا اسماعيل ابن مجمع ، أنا محمد بن
يحيى ، أنا عبد الملك بن عبد الرحمن ، حدثني أيوب ،
وأبو عكرمة ، عن مرجى ، عن جعفر بن سليمان ، عن
مالك بن دينار وراشد وغيرهما قالوا : قال لنا الحجاج :
عدوا لي حروف القرآن ، ومعنا الحسن ، وأبو العالية ،
ونصر بن عاصم ، فحسبنا بالشعير وأجمعنا على أنه
ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون حرفا ، وفي رواية

جاء في كتاب « بصائر ذوي التمييز في لطائف
الكتاب العزيز » تأليف الشيخ مجد الدين محمد بن
يعقوب الفيروزآبادي المتوفى سنة 817 هـ ، روايات
متعددة ، ومتباينة في بعض تفاصيلها ، برغم أنها جميعا
تدور حول الإحصاءات القرآنية من حيث عدد السور
والآيات والكلمات والحروف الهجائية ... الخ .

وتنسب تلك الجهود الإحصائية الاستقرار إلى
بعض من مشهوري العلماء والقراء الأوائل ، بل يبدو من
بعض تلك الروايات ان العلماء والقراء قد تصدوا لتلك
العملية الإحصائية منذ عهد الحجاج بن يوسف ، أو
ربما منذ أيام عبد الله بن مسعود .

وظلت تلك الإحصاءات تتناقل بعد ذلك جيلا بعد
جيل ، ويتلقفها المفسرون والدارسون ، وربما يكون
منهم من جاول تحقيقها فأعاد الإحصاء والاستقراء حتى
انتهت لدى المتأخرين من العلماء على تلك الصور
المتعددة والروايات المختلفة التي نراها في كتاب
البصائر للفيروزآبادي ، وفي حاشية الجمل على
تفسير الجلالين منسوبة للإمام النسفي ، وأخيرا
نجدها في كتاب الكشكول للعالمى وقد أصابها كثير من
الخلط والاضطراب .

وأوضح ما ظهر فيه الخلاف بين تلك الروايات
عدد الحروف الهجائية في القرآن الكريم برغم أن
القرآن منذ نزل على نبينا صلى الله عليه وسلم هو هو
لم يزد حرفا ولم ينقص حرفا ، حفظته الصدور ،

في اسماعهم اضافوا شعيرة ، وفريق آخر كانوا يعدون عن طريق النظر ، اي كلما ابصروا في المصحف حرفا مكتوبا اضافوا شعيرة . وتظهر ثمرة الخلاف بين هؤلاء وهؤلاء حين نتذكر ان بعض الحروف تسمع ولا تكتب مثل كثير من الفات المد وبعض واوات المد وباءات المد والهمزات ... الخ . وان بعض الحروف تكتب ولا تسمع كهمزة الوصل والالف بعد واو الجماعة . الخ . ومن هنا يمكن ان نتصور وقوع الخلاف في العدد ، وان كان من المستبعد ان يصل ذلك الى عشرات الالاف .

غير ان الخلاف في جملة عدد الحروف لم يزعجنا بقدر ما ازعجنا وادهشنا ان يقع الخلاف بين الروايات في عدد كل حرف على حدة . فلم تنفسق روايات كتاب البصائر الا في عدد الطاءات ، الظاءات . ولم تتفق مع روايات النسفي الا في عدد الظاءات فقط . واما ما جاء في الكشكول للعامري فلا يتفق في اي حرف مع روايات الفيروزابادي او النسفي . وقد اكتفى صاحب الكشكول بذكر الارقام ولم يضبطها بالكتابة ، ولذلك جاءت نموذجا عجيبا من الاضرابات والخلط .

وحين نستعيد من الحروف تلك التي يحتمل في بعضها ان تكتب ولا تسمع ، او التي تسمع ولا تكتب كالالفات والهمزات والواوات والياءات ، ونكتفي بمقارنة العدد لكل حرف من الحروف الاخرى التي لا يصيبها شيء من ذلك ، لا نكاد نرى مسوغا لوقوع خلاف في عدد حروف كالرءات او الباءات مثلا !!

واذا استعرضنا مختلف الروايات حول اعداد الحروف لمسنا كيف ان القدماء من العلماء كانوا في شبه صراع مع عدد الحروف ، يبذلون الجهد ، ويحاولون التحقيق ما وسعهم ذلك ، لان الامر يتصل بالمعجزة الكبرى للاسلام ، ويكتب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم مع هذا لا يكادون يجمعون على رأي حاسم قاطع بصدد عدد اي حرف من القرآن الكريم الا الظاء .

وهناك صراع احصائي آخر نلاحظه بين المتقدمين من اصحاب المعاجم ، فقد تبين لهم منذ عهد الخليلين احد ان عدد الكلمات التي يمكن عقلا او نظريا ان يتألف من حروف الهجاء الثمانية والعشرين يكاد يبلغ ، بل يجاوز حدود اثني عشر مليونا ، على أساس ان الكلمة العربية قد تكون ثنائية الاصول ، وقد تكون ثلاثية الاصول ، وقد تكون رباعية الاصول او خماسية الاصول . كما

عطاء بن يسار ثلاثمائة الف حرف وستون الفا وثلاثة وعشرون حرفا . (بالارقام : 300 023 ، 360 023) .

2 عن ابن مسعود انه قال : وحروفها ثلاثمائة الف حرف وستمائة حرف وسبعون حرفا . (300 670)

3 عن أبي معاذ النحوي : هو ثلاثمائة الف حرف واحد وعشرون الف حرف ومائتا حرف . (361 200)

4 عن عطار بن يسار : ثلاثمائة الف وثلاث وعشرون الفا وستمائة واحد وسبعون حرفا . (323 671)

5 حسبوا حروف القرآن فمرصوه على على مجاهد وسعيد بن جبير فلم يخطئوه . فبلغ ما عدوه : ثلاثمائة الف حرف وثلاثة وعشرون الف حرف واحدا وسبعين حرفا . (323 071) .

6 عن ابي حمزة الزيات وابي حفص الخراز قالا : حروف القرآن ثلاثمائة الف حرف وثلاثة وسبعون الف حرف ومائتان وخمسون حرفا . (373 250)

7 عن يحيى بن الحارث الذماري قال : عدد حروف القرآن ثلاثمائة الف حرف واحد وعشرون الف حرف ومائتا حرف وخمسون حرفا (321 250)

8 عن راشد ابي محمد وكان شهد الحجاج حين ميز القرآن قال : وحروفه ثلاثمائة الف حرف وعشرون الف حرف ومائة وثمانية وثمانون حرفا (320 188) .

وهكذا نرى ان هذه الروايات الثمانية لم تتفق الا في رقم ثلاثمائة الف ، اي لم يبلغ الخلاف بينها حدود مئات الالوف ، ولكن بلغ حدود الالاف ، بل بلغ في بعض الروايات حدود عشرات الالاف !!

ويذكر القرطبي في تفسيره ثلاث روايات لجملة عدد الحروف في القرآن الكريم لا تشترك مع اي من الروايات السابقة . والارقام التي جاءت في روايات القرطبي هي : (340 740 ، 323 015 ، 321 180) .

ومع ما ذكره الفيروزابادي في تحليل ذلك الخلاف نود ان نضيف الى قوله ان الذين قاموا بالاحصاء فيما مضى كانوا فيما يبدو ، فريقين : فريق كانوا يعدون عن طريق السمع ، اي كلما سمعوا من قارئ حرفا واتضح

تبين لهم أن عدد المستعمل من تلك الصور المحتملة لا يكاد يجاوز مائة ألف ، والباقي مهمل لا يرد في اللسان العربي .

وظهر أثر ذلك في المعاجم الأولى للغة العربية ككتاب العين المنسوب للخليل ، والجمهرة لابن دريد ، والتهذيب للأزهري ، ففي كل من هذه المعاجم نقرا - ولا سيما مع الجذور الثنائية والثلاثية - كلمتي المستعمل والمهمل لبيان ما ورد في اللغة وما لم يرد .

وحاول ابن جني في كتابه الخصائص (1) تفسيراً لاهمال ما أهمل من صور الجذور ، وجاءنا بما سماه الاستئصال !! فكثيراً ما يردد هذه الكلمة ، وكأنما قد تصور أن مؤتمراً قد عقد بين القاطنين باللغة العربية ، وأنهم اهتموا خلال مناقشات هذا المؤتمر إلى الحكم على استئصال الكثرة الغالبة من الجذور ، فكان الأمر في تصويره كان أرادياً متعمداً ، فهو يردد في أحيان كثيرة قوله : أن العربي ينفر من اجتماع كذا مع كذا من الحروف !! ولما وجد أن بعض الجذور المهمة لا يتسم بالاستئصال أو ما يشبه الاستئصال مثل المادة « لجع » قال عنها إنها أهملت حملاً على ما أهمل من تراكييب الرباعي والخماسي !!

فلنستمع إلى نص كلام ابن جني في الخصائص : (أما اهمال ما أهمل مما تحتمله قسمة التراكيب في بعض الأصول المتصورة أو المستعملة فأكثره متروك للاستئصال ، وبقيته ملحقة به ومقفاة على أثره ، فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه مثل : « سص » ، ظس ، ظث ، نط ، ضس ، ضث ، « وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه والمشتقة على النفس لتكلفه ، وكذلك نحو « قج ، جق ، قق ، فك ، كج ، جك » . وكذلك حروف الحلق هي من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها عن معظم الحروف أعني الفم ، فان جمع بين اثنين منها قدم الأقوى على الأضعف نحو : « أهمل ، أحد ، أخ ، عهد ، عهر » . وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلا بتقديم الأقوى منهما نحو : « أول ، وتد ، وطد » . ويدل على أن الراء أقوى من اللام أن القطع عليها أقوى من القطع على اللام ، وكان ضعف اللام إنما أتاهما لما تشرب به من الفنة عند الوقوف عليها !! وكذلك لا تكاد تمتص اللام ، وقد ترى إلى كثرة اللثغة في الراء في الكلام . وكذلك الطاء والياء هما أقوى من الدال ، وذلك لأن جرس الصوت بالياء والطاء عند

الوقوف عليهما أقوى منه وأظهر عند الوقوف على الدال وأنا أرى أنهم إنما يقدمون الأقوى من المتقاربين من قبل أن جمع المتقاربين يشغل على النفس ، فلما اعترضوا النطق بهما قدموا أقواها لأمرين : أحدهما أن رتبة الأقوى أبداً أسبق وأعلى ، والآخر أنهم إنما يقدمون الأثقل ويؤخرون الأخف من قبل أن المتكلم في أول نطقه أقوى نفساً وأظهر نشاطاً فقدم أثقل الحرفين وهو على أجمل الحالين كما رفعوا المبتدأ لتقدمه فأعربوه بأثقل الحركات وهي الضمة ، وكما رفعوا الفاعل لتقدمه ونصبوا المفعول لتأخره ... الخ .) إلى أن يقول ابن جني في آخر هذا الفصل : (وتخطوا بذلك إلى اهمال بعض الثلاثي لا من أجل خفاء تركيبه بتقاربه نحو : « سص ، صس » لكن من قبل أنهم حذوه على الرباعي كما حذوا الرباعي على الخماسي ، ألا ترى أن « لجع » لم يترك استعماله لثقله من حيث كانت اللام اخت الراء والنون ، وقد قالوا : « نجع فيه ، رجع عنه » ، واللام اخت الحرفين ، وقد أهملت في باب « اللجع » فدل على أن ذلك ليس للاستئصال) انتهى كلام ابن جني !!

وكلما مررنا بتلك الإشارات السريعة التي نصادفها في ثنايا كتب القدماء من المستعمل والمهمل من جذور اللغة ، أو عن توالي الحروف وما يجتمع منها وما لا يجتمع ، أحسنا أنهم كانوا في شبه صراع رهيب ومحاولة يائسة لعلهم يصلون إلى نسبة صحيحة في الإحصاء أو الاستقراء . فإذا روي عن الخليل أنه قال : (ليس في كلام العرب شين بعد لام ولكن قبلها ، كلها قبل اللام) ، رد عليه الأزهري قائلاً : (وقد وجد في كلامهم الشين بعد اللام ، قال ابن الأعرابي وغيره : رجل « لشلاش إذا كان خفيفاً » ، ثم يروي لنا بعض المعاجم أيضاً كالقاموس المحيط للفيروزآبادي أن الفعل « لشا » معناه خس بعد رفعه !!

ومن الإشارات السريعة التي جاءت في كتب القدماء بصدد نسبة شيوخ الحروف في اللغة العربية قول ابن دريد في مقدمة معجمه الجهمزة (وأعلم أن أكثر الحروف استعمالاً عند العرب : الواو ، الياء ، الهمزة ، وأقل ما يستعملون لثقلها على السنتهم : الطاء ، ثم الدال ، ثم التاء ، ثم الشين ، ثم القاف ، ثم الخاء ، ثم الفين ، ثم النون ، ثم اللام ، ثم الراء ، ثم الباء ، ثم الميم) !!

تفصيلا ما جاء في عروس الافراح للسيبكي (2) ،
ونقتبس هنا بعض فقراته :

(تنبيه : رتب الفصاحة متقاربة ، وان الكلمة
تخف وتثقل بحسب الانتقال من حرف الى حرف لا
بلائمه قريبا او بعدا) .

ثم يذكر المؤلف الحالات الست للجدر الثلاثي
على اساس ان الحرف قد يكون مخرجه من الطلق
كالعين مثلا ، او مخرجه من الفم كالادل مثلا ، او
مخرجه من الشفتين كالباء مثلا . فالحروف الثلاثة
ع ، د ، ب ، يمكن ان يتألف منها ست صور هي :

ع د ب ، ب د ع ، د ب ع ، ع ب د ، د ع ب ،
ب ع د . ثم يتحدث المؤلف عن اكثر هذه الصور
شيوعا واقلها شيوعا فيقول ما نصه : (اذا تقرر هذا
فاعلم ان احسن هذه التراكيب واكثرها استعمالا ما
انحدر فيه من الاعلى « يريد حرفا مخرجه الحلق » الى
الاوسط « يريد حرفا مخرجه الفم » الى الادنى « يريد
حرفا مخرجه الشفتان » (3) ، ثم ما انتقل فيه من
الاوسط الى الادنى الى الاعلى ، ثم من الاعلى الى الادنى
الى الاوسط ، وما انتقل فيه من الاوسط الى الاعلى
الى الادنى فهما سيان في الاستعمال وان كان القياس
يقتضي ان يكون ارجحهما ما انتقل فيه من الاوسط الى
الاعلى الى الادنى . واقل الجميع استعمالا ما انتقل
فيه من الادنى الى الاعلى الى الاوسط) . انتهى كلام
عروس الافراح . والمؤلف في كل الحالات السابقة
يريد بقوله الاعلى حرفا مخرجه الحلق ، وبالادنى حرفا
مخرجه الشفتان ، وبالاوسط حرفا مخرجه الفم .

واخيرا وليس آخرا تلك الضوابط المشهورة
التي عني بها امثال « الجواليقي » في كتابه « المعرب
من الكلام الاعجمي » ، والشهاب الخفاجي في كتابه
« شفاء الفليل » حين يشار في هذين الكتابين الى ما
يمكن ان يعد علامات لتمييز الكلمة العربية من الكلمة
الاعجمية وهي :

(1) لا تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية ، الاصل ،
ولذلك تعد كلمة مثل « المنجنيق » من الالفاظ
الاعجمية .

واهم ما نلاحظه على اشارة ابن دريد المقضية
انها لم تتضمن الا نصف حروف الهجاء ، وان النسخ
المخطوطة لهذا المعجم قد اختلفت في شأن حرفين
من الحروف المذكورة هنا ، فبعضها يذكر الدال بدلا
من الدال ، ويذكر العين بدلا من الغين !!

واما الجاحظ فبرغم كثرة مؤلفاته وضخامتها لا
نرى له سوى سطر واحد في البيان والتبيين يقرر فيه
ان : الباء ، اللام ، الالف ، الراء ، اكثر الحروف ترددا
من غيرها ، وان الحاجة اليها اشد !! ثم يذكر لنا كيف
اهتدى الى ذلك في تعبير طريق يقول فيه : (واعتبر
ذلك بان تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب
الناس ورسائلهم ، فانك متى حصلت جميع حروفها
وعددت كل شكل على حدة علمت ان هذه الحروف
الحاجة اليها اشد) !!!

وجاء في مقدمة لسان العرب لابن منظور : (واما
تقارب بعض الحروف من بعض وتباعدها فان لها سرا
في التعلق يكشفه من تعناه كما انكشف لنا سره في
حل المترجمات لسدة احتياجنا الى معرفة ما يتقارب
بعضه من بعض . فان من الحروف ما يتكرر ويكثر
استعماله وهو : ا ، ل ، م ، ه ، و ، ي ، ن . ومنها ما
يكون تكراره دون ذلك وهو : ر ، ع ، ف ، ت ، ب ،
ك ، د ، س ، ق ، ح ، ج . ومنها ما يكون تكراره اقل
من ذلك وهو : ظ ، غ ، ط ، ز ، ث ، خ ، ض ، ش ،
ص ، ذ . ومن الحروف ما لا يخلو منه اكثر الكلمات
حتى قالوا ان كل كلمة ثلاثية فصاعدا لا يكون فيها حرف
او حرفان منها فليست بعربية وهي ستة احرف :
ر (1) ، ب ، م ، ن ، ل ، ف . ومنها ما لا يتركب
بعضه مع بعض اذا اجتمع في كلمة الا ان يقدم ، ولا
يجتمع اذا تأخر وهو : ع ، ه ، فان العين اذا تقدمت
تركبت واذا تأخرت لا تتركب ، ومنها ما لا يتركب اذا
تقدم ويتركب اذا تأخر وهو : ض ، ج ، فان الصاد اذا
تقدمت تركبت واذا تأخرت لا تتركب ، ومنها ما لا
يتركب بعضه مع بعض لا ان تقدم ولا ان تأخر وهو :
س ، ث ، ض ، ز ، ظ ، ص ، فاعلم ذلك) .

واما اشهر ما عرف عن علماء البلاغة بهذا الصدد
فنراه في اثناء حديثهم عن التعقيد اللفظي ، واكثره

(1) ذكرت في المعجم على انها « دال » ومن المؤكد انه تصحيف .

(2) شروح التلخيص ج 1 ص 94 ، 95 .

(3) لعل هنا نقصا في النص وتكملته « او عكسه من الادنى الى الاوسط الى الاعلى » .
وهذه التكملة لكن تتمم الصور الست للثلاثي .

(2) لا تجتمع الصاد والجيم فى الكلمات العربية ، فمثل « صولجان » مما اقترضه العرب ، وكذلك كلمة « الجص » .

(3) لا تقع النون وبعدها راء فى اللفظ العربي ، فمثل « نرجس » كلمة أعجمية .

(4) لا تكون الزاي بعد دال فى كلمة عربية ، فمثل « مهندز » كلمة أعجمية ، وهى الكلمة التسي تغيرت فيما بعد حتى صارت على الصورة المألوفة الآن « مهندس » .

(5) لا تجتمع الزاي او الذال مع السين ، فكلمة « ساذج » معربة عن الفارسية .

(6) لا تقع الطاء مع الجيم فى كلمة عربية ، ولذلك عدت كلمة « الطاجن » أعجمية .

(7) لا تخلو الكلمة العربية حين تكون رباعية الاصل او خماسية الاصل من حرف من حروف الذلاقة وهى : اللام ، الراء ، النون ، الميم ، الفاء ، الباء ، فيما عدا كلمة « عجد » بمعنى الذهب .

اما بعد : فازاء كل ما تقدم هنا من بصوص وردت فى كتب القدماء كنت الى عهد قريب اشعر بالدهشة والحيرة ، واتمنى لو اتاحت لنا فرصة لاعادة الاحصاء والاستقراء عن طريق تلك الآلات الحاسبة الحديثة التى اشتهرت باسم العقل الالكتروني او «الكومبيوتر»

ثم حانت الفرصة فى العام الماضى حين دعتنى جامعة الكويت لزيارة كانت برغم قصر زمنها ، مباركة

فى نمارها . فقد اتصلت بأستاذ الفيزياء المصري والمعار لجامعة الكويت الدكتور علي حلمي موسى وكنت اعلم انه من امهر المتخصصين فى استخدام الكومبيوتر . وعقدنا معا عدة جلسات علمية شرحت فيها فكرة الاحصاءات اللغوية واهميتها فى البحث اللغوي ، ثم كان ان اتفقنا على البدء بدراسة احصائية لجذور اللغة كما جاءت فى معجم الصحاح للجوهري .

ووضع استاذ الفيزياء ما يسمى فى استخدام الكومبيوتر بالبروجرام ، وشحن ذاكرة الكومبيوتر بنصوص المعجم ، ثم استملى ذلك الجهاز العجيب فأملى عليه نتائج احصائية رائعة نسقت فى عشرات من الجداول ، وبذلك تحقق ذلك العمل العلمي الرائد الذى سعدت بأن يكون لي فيه حظ التوجيه والارشاد.

وطبعت جامعة الكويت تلك النتائج الاحصائية فى كتيبين تحت عنوان « دراسة احصائية لجذور مفردات اللغة العربية » ، ووزعتها على كل أعضاء الجامع اللغوية فى العالم العربي ، وعلى أقسام اللغات والرياضيات فى الكليات الجامعية .

وهكذا نرى ان اصحاب العلم الحديث قد قالوا كلمتهم بصدد الاحصاء اللغوي ، وبقي علينا نحن اللغويين ان نفيد من تلك الاحصاءات فى بحوثنا ، ولا اشك لحظة فى ان اللغوي الحديث سيهتدي عن طريق تلك الاحصاءات الى تفسيرات جديدة واصيلة لكثير من ظواهر لغتنا العربية ، وأعمل الآن جاهدا رجاء الاهتداء الى بعض آثار الكومبيوتر فى البحث اللغوي . وبالله التوفيق .